السنة: الأولى ماستر

التخصص: لسانيات عربية

المقياس: مدارس نحوية

نوعه: محاضرة

المجموعة: مج 5

الفوج: 8+9

اسم الأستاذ ولقبه: د/ سهام صياد

محاضرات المدارس النحوية

مفاهيم تأسيسية: المذهب، الاتجاه، المدرسة النحوية

حتى تتضح هذه المفاهيم، و تتجلى المادة العلمية لابد من التطرق إلى تحديداتها في اللغة وفي الاصطلاح العلمي.

المذهب: جاء في لسان العرب ما نصه:"ذهب، الذهاب: السير والمرور، والمذهب مصدره، والمذهب المعتقد الذي يذهب إليه".

والمذهب في اللغة مصدر ميمي من (ذهب) يعني طريقة الاعتقاد ورأيه.

وأمّا المذهب في اصطلاح العلوم فقد قال عنه الشريف الجرجاني: "المذهب الكلامي هو أن يورد حجة المطلوب على طريق أهل الكلام".

الاتجاه: الوجهة في لسان العرب، المقصد، والطريق، والاتجاه مزيد من (وجه) .

والاتجاه في النحو لا يكاد يختلف عن المذهب، أو الطريق غير أننا وجدنا أن الاتجاه قد يكون في المذهب الواحد أو المدرسة الواحدة، لأنه أي الاتجاه لا يرقى إلى معنى المدرسة أو المذهب. ذكر ذلك الدكتور التواتي بن التواتي في كتابه "المدارس النحوية" إذ يقول: "وفي هذا السياق لابد من الإشارة إلى أن مدرسة البصرة قد تفرع عنها ثلاثة اتجاهات".

المدرسة النحوية:

المعنى اللغوي: جاء في لسان العرب: "درست: أي تعلمت، ودرست الكتاب أدرسه درسًا أي ذللته بكثرة القراءة حتى خف حفظه علي".

والمدرسة اسم مكان يطلق على مكان الدرس.

المدرسة في الاصطلاح النحوي:

تعرض أحمد مختار عمر إلى تحديد مصطلح المدرسة في النحو فقال: "... فإن هذا المصطلح يعني في نظرنا وجود جماعة من النحاة، يصل بينهم رباط من وحدة الفكر والمنهج في دراسة النحو، ولابد أن يكون هناك الرائد الذي يرسم الخطة ويحدد المنهج، والتابعون أو المريدون الذين يقتفون خطاه ويتبنون منهجه ويعملون على تطويره والدفاع عنه".

وسنشرح كلامه بإيجاز: فالمدرسة النحوية تطلق على مجموعة من النحاة ينضوون تحت إطار موحد في التفكير والمنهج، وتكون لهم مرجعية واحدة يصدرون عنها في دراسة النحو، ولكي تضمن هذه البوتقة صفة المدرسة لابد أن يكون لها أتباع مع مرور الزمن.

هل كان مصطلح المدرسة شائعًا عند الدارسين الأوائل؟

ناقشت هذه القضية نقاشًا مطولاً خديجة الحديثي في كتابها: "المدارس النحوية". و توصلت إلى نتيجة وهي أن: القدماء من النحاة لم يتطرقوا إلى مصطلح مدرسة، وإنما كانوا ينسبون النحاة أحيانًا إلى بلدانهم فيقولون نحاة البصرة ونحاة الكوفة، وأحيانًا أخرى قد يستعملون لفظة (أهل) أهل البصرة وأهل الكوفة، وفي مرات أخرى يستعملون مصطلح مذهب.

فتقول: "يتضح من هذا العرض لمناهج الذين أرخوا للنحو والنحاة من القدماء أنهم لم يستعملوا كلمة "مدرسة" في تصنيفهم لهذه المجموعات النحوية وإنما اتبعوا في ترتيبهم نسبتهم إلى البلد الذي ظهروا فيه وتعلموا نحوه ودرَسوه ودرَّسوه، فهم بصريون وكوفيون وأهل بغداد ومصريون وأندلسيون ومن أهل قرطبة ومن أهل دمشق ولم يستخدموا كلمة مذهب في التقسيم إلا ابن النديم في تسميته من ترجم لهم في القرن الثالث".

أسباب ظهور المدارس النحوية

يمكن حصر هذه الأسباب في ثلاثة جوانب:

الجانب الأول: العصبية المذهبية

الجانب الثاني: أسباب جغرافية

الجانب الثالث: أسباب علمية بحتة تتعلق بالقراءات القرآنية.

فإذا بدأنا بالجانب الأول والمتعلق بالعصبية المذهبية فإننا نجد فن المناظرات كان سببًا قويًا في تبلور فكرة المدرسة النحوية ولعل أشهر هذه المناظرات مناظرة سيبويه مع الكسائي، وهي المعروفة بـ: (المسألة الزنبورية). ومختصرها أن سيبويه تاقت نفسه إلى

بغداد عاصمة الخلافة العباسية يومذاك فلما وصل إليها وهو من هو في مراتب النحاة البصريين حل بمجلس فأراد الحاضرون أن يدفعوه إلى مناظرة بينه وبين الكسائي رائد المدرسة الكوفية فقال الكسائي لسيبويه كيف تقول : كنت أظن أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فإذا هو إياها. فقال سيبويه: فإذا هو هي ولا يجوز النصب. فقال له الكسائي: لحنت، وعقدت مسائل أخرى شبيهة فلم يجز سيبويه النصب، فاحتكم إلى الوافدين على باب الخلافة وكانوا يعلمون مكانة الكسائي لدى العباسيين فارتضوا رأيه، فخرج سيبويه منكسرًا من بغداد

وأمّا عن الأسباب المتعلقة **بالجانب الثاني** والذي يخص البعد الجغرافي إنّ أهم محفل يتلاقى فيه الشعراء والأدباء وعلماء اللغة فضلاً على الباعة والتجار هو السوق ولقد كان لكل من المدينتين سوق نشطة يقصدها أولئك الأصناف الذين تحدثنا عنهم، ومنهم علماء اللغة.

أولاً: سوق المربد: وكانت سوقًا بالبصرة تقع على الجانب الغربي منها يقصدها التجار والشعراء والأدباء والخطباء وأهل اللغة، وكانت نقائض الفرزدق وجرير والأخطل تلقى فيها، إضافة إلى ذلك كان يجتمع فيها اللغويون من أمثال الأصمعي وأبي عمرو بن العلاء، فيدور بينهم ما يعنّ لهم من نقاش وجدل واستعراض لمعارفهم اللغوية والنحوية.

ثانيًا: سوق الكناسة: وهي سوق أريد لها أن تكون موازية لسوق المربد بالبصرة وقد كانت الكناسة بالكوفة يرتادها بالإضافة إلى الباعة والتجار والشعراء والأدباء والخطباء علماء اللغة، غير أن المؤرخين لا يضعون هذه السوق في مرتبة سوق المربد بالبصرة لأن الكناسة كان يؤمها كذلك العجم ومن فسدت سليقتهم فكانت أي الكناسة داعيًا من دواعي فساد اللغة وليس من دواعي تطورها.

وأما الجانب الثالث: وهو الخاص بتمايز هذه المدارس من خلال اختلاف القراءات، فالمعروف أن البصريين كانوا متشددين في قبول الشواهد، الأمر الذي جعل قياسهم قريبًا من اللغة العربية الفصيحة إلا أن في هذا الأمر شططًا يتعلق بقبول القراءة القرآنية لأن الشرط فيها أن توافق وجهًا من وجوه الصواب من اللغة العربية وليس بالضرورة ما يراه البصريون من توجيه، وقد نظم بن الجزري ثلاثة شروط لقبول القراءة يقول:

وَكُلُّ مَــا وَافَــقَ وَجْهَ النَحْوِ وَكَانَ لِلرَّسْمِ احْتِمَالاً يَحْوِي
وَصَحَّ إسْنَادًا هُوَ الْقُــــــرآنُ فَهَـــذِهِ الثَّـــــــلاثَةُ الأَرْكَـــــــانُ

فمن هنا ظهر الاختلاف بين القراء المنضوين تحت لواء هذه المدرسة أو تلك، والآيات القرآنية التي تجلت فيها اختلافات المدرستين كثيرة سنكتفي باثنتين للاستدلال على ذلك:

صحة الفصل بين المضاف والمضاف إليه: فقد قرأ ابن عامر وهو أحد القراء السبعة قول اللّه تعالى هكذا ﴿ **وكذلك زيّن لكثير من المشركين قتلَ أولادِهم شركاؤهم**﴾ الأنعام 137. ففي هذه القراءة المضاف هو المصدر (قتلَ) والمضاف إليه هو (شركاؤهم) والتأويل قتل شركائهم أولادهم والمفعول به هو (أولادهم) فقد فصل بين المتضايفيين بالمفعول به، لكن البصريين يضعفون هذا ويردونه. و أما الكوفيون فيقبلونه، والمعلوم هنا أن ما اختاره الكوفيون هو الصواب، لتواتره.

ومن اختلافات البصريين والكوفيين في القراءات كذلك جواز العطف على الضمير المجرور من دون عائد في قول الله تعالى: ﴿**واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحامَ**﴾ النساء01. قرأها حمزة وهو من الكوفيين بالجر (والأرحام)، وهي قراءة متواترة.

ولا يمكن في موضوع الحديث عن أسباب الاختلاف بين المدارس أن نغفل الجانب السياسي لأن أثره في الغالب يكون حاسمًا في تغليب مدرسة عن مدرسة أو مذهب عن مذهب، وقد رأينا ذلك جليًا في المسألة الزنبورية.

النحو:

قديما لم يكن يعرف النحو بهذا الاسم بل كان يعرف بعلم العربية وهذه التسمية ظهرت في عهد الطبقة الثانية من علماء البصرة حيث اشتهرت عنها مؤلفات اتسمت بأنها نحوية وصرح فيها باسم النحو.

مكان نشأته:

تجمع المصادر على أن العراق كان مهدا لنشأة النحو العربي وذلك للأسباب الآتية:

1 ـ كان العراق ملجأ للعجم قبل الفتح الإسلامي وبعد الفتح أقبل المسلمون عليها عربا وعجما إذ أنها تمتاز بأسباب الحياة الناعمة ورغد العيش.

2 ـ كان العراق أكثر البلاد العربية إصابة بوباء اللحن وتعرضا لمصائبه بسبب هذا المزج (بين العرب والعجم).

3 ـ كان العراقيون ذوي عهد قديم بالعلوم والتأليف ولهم فيها خبرة متوارثة ، وتعد البصرة أسبق مدن العراق اشتغالا بالنحو حيث احتضنت النحو زهاء قرن من الزمان قبل أن تشتغل به الكوفة التي كانت بدورها أسبق من بغداد، فالبصرة هي التي شادت صرح النحو ورفعت أركانه، بينما كانت الكوفة مشغولة بقراءات الذكر الحكيم ورواية الشعر والأخبار.

وكان القدماء يعرفون ذلك فنصوا عليه بعبارات مختلفة من ذلك قول ابن سلام الجمحي : (وكان لأهل البصرة في العربية قدمه ، وبالنحو ولغات العرب والغريب عناية).

ويصرح ابن النديم في هذا المجال تصريحا أكثر وضوحا إذ يقول في حديثه عن نحاة الكوفة والبصرة "البصريين أولا لأن علم العربية عنهم أخذ " ثم اشترك علماء البصرة والكوفة في النهوض بالنحو من عهد الخليل بن أحمد شيخ الطبقة الثانية من البصريين وأبي جعفر الرؤاسي شيخ الطبقة الأولى من الكوفيين حتى نمت أصوله وكملت عناصره في مستهل العصر العباسي الأول على يد المبرد خاتم البصريين وثعلب تم الكوفيين .

أسباب وضع النحو العربي:

يمكن أن نرد أسباب وضع النحو العربي إلى بواعث مختلفة ، منها الديني ومنها غير الديني :

أما البواعث الدينية فترجع إلى الحرص الشديد على أداء نصوص الذكر الحكيم أداء فصيحا سليما إلى أبعد حدود السلامة والفصاحة ، وخاصة بعد أن أخذ اللحن يشيع على ألسنة ، وكان قد أخذ في الظهور منذ حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقد روي بعض الرواة أنه سمع رجلا يلحن في كلامه ،" فقال أرشدوا أخاكم فإنه قد ظل" وروا أن أحد ولاة عمر بن الخطاب كتب إليه كتابا به بعض اللحن ، فكتب إليه عمر : (أن قَنِعْ كاتبك سوطا) .

غير أن اللحن في صدر الإسلام كان لا يزال قليلا بل نادرا ، وكلما تقدمنا منحدرين مع الزمن اتسع شيوعه على الألسنة ،

وخاصة بعد تعرب الشعوب المغلوبة التي كانت تحتفظ ألسنتها بكثير من عاداتها اللغوية ، مما فسح للتحريف في عربيتهم التي كانوا ينطقون بها ، كما فسح للحن شيوعه .

ويكفي أن نضرب مثلا لذلك ما يروي عن الحجاج من أنه سأل يحي بن يعمر هل يلحن في بعض نطقه ؟ وسؤاله ذاته يدل على ما استقر في نفسه من أن اللحن أصبح بلاء عاما ، وصارحه يحي بأنه يلحن في حرف من القرآن الكريم إذ كان يقرأ قوله عز وجل : (قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم) إلى قوله تعالى : (أحب) بضم أحب والوجه أن تقرأ بالنصب خبرا لكان بالرفع.

وإذا كان الحجاج وهو في الذروة من الخطابة والبيان والفصاحة والبلاغة يلحن في حرف من القرآن ، فمن وراءه من العرب نازلة المدن الذين لا يرقون إلى منزلته البيانية كان لحنهم أكثر وازداد اللحن انتشارا على ألسنة أبناءهم الذين لم ينشأوا في البادية مثلهم وإنما نشأوا في الحاضرة واختلطوا بالأعاجم اختلاطا أدخل الضيم والوهن على ألسنتهم وفصاحتهم على نحو ما هو معروف عن الوليد بن عبد الملك وكثرة ما كان يجري على لسانه من لحن.

وكان كثيرون من أبناء العرب ولدوا لأمهات أجنبيات أو أعجميات ، فكانوا يتأثرون به في نطقهن لبعض الحروف وفي تعبيرهن ببعض الأساليب الأعجمية وكل ذلك جعل الحاجة تمس في وضوح إلى وضع رسوم يعرف بها الصواب من الخطأ في الكلام خشية دخول اللحن وشيوعه في تلاوة آيات الذكر الحكيم .

وانضمت إلى ذلك بواعث أخرى، بعضها قومي عربي، يرجع إلى أن العرب يعتزون بلغتهم اعتزازا شديدا، وهو اعتزاز جعلهم يخشون عليها من الفساد حين امتزجوا بالأعاجم.

المدرسة البصرية

أسس المسلمون البصرة وأنشأها الصحابي عتبة بن غزوان باقتراح من الخليفة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه- في (14) الهجرية، تقع البصرة في الجنوب الشرقي من بلاد العراق، لها أهمية كبيرة منذ قديم الزمان لتربعها على ضفاف نهري دجلة والفرات وتموضعها على البوابة البحرية لهذين النهرين، كما كانت منطلق الحضارة العربية وامتزاجها بالحضارات الإنسانية. والعرب الذين استقروا بها كانوا ذوي ميولات بدوية، فاتصلوا هناك بشعوب مختلفة وثقافات شتى فأثروا وتأثروا.

مقوماتها العلمية والثقافية:

بالإضافة إلى أهمية الموقع الجغرافي للبصرة والتنوع العرقي والامتزاج الثقافي بها، فإن لها مقومات أخرى جعلت منها أشهر مدينة عراقية في العصر الراشدي ومن تلك المقومات نذكر:

- **سوق المربد:**

ولقد تكلمنا عن هذه السوق أثناء مناقشتنا لأسباب ظهور المدارس النحوية ونضيف على ذلك أنها في الأصل سوق تجارية، وقد كان يباع فيها الإبل والغنم، **والمربد** في أصلها اللغوي الموضع الذي تحبس فيه الإبل والغنم، وهذه السوق شبيهة بسوق عكاظ التي كانت في الحجاز إبان العصر الجاهلي، وبالإضافة إلى التجارة كانت المربد ملتقى لرواة الشعر، والقصاص أو الشعراء، والخطباء واللغويين يلقون على جموع الناس بضاعتهم الأدبية واللغوية، ويستعرضون مواهبهم وكفاءتهم أمام الناس، فيتعدى صيتهم البصرة وضواحيّها فيشتهر كل من نال إعجاب الناس ورضاهم، وهكذا كانت هذه السوق مصدرًا ثقافيًا هامًا ورافدًا من روافد اللغة العربي.

- **المسجد الجامع ومجالسه:**

بعدما أنشأ الصحابي عتبة بن غزوان – رضي الله عنه- مدينة البصرة كما أشرنا كان أول ما قام بتأسيسه المسجد الجامع في قلب مدينة البصرة غير بعيد عن مساكن الناس وطرقاتهم، فكانت بالطبع تقام فيه الصلوات، إضافة إلى مجالس القوم في أمور دينهم ودنياهم، مثل إعلامهم بشؤون الخلافة من حرب وسلم وجهاد، ولم يخل هذا المسجد الجامع من حلقات القراء والقصاص واللغويين ومن تلك المجالس نذكر:

- **مجلس الحسن البصري (110ه):** اشتهر الحسن البصري بقراءته على طريقة عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما- والتي من أسسها الاهتمام بالتفسير والاستشهاد باللغة، فأقبل عليه الناس ينهلون من هذه الطريقة في القراءة ويستزيدون من لغة العرب وأشعارها.

- **مجلس واصل بن عطاء (131ه):**كان واصل بن عطاء في بادئ أمره مريدًا من مريدي مجلس الحسن البصري، لكن واصلاً كان ميالاً إلى الجدل والاعتداد المفرط بالعقل فكان هذا إرهاصًا لظهور الاعتزال لديه، فشكل واصل مجلسًا مستقلاً كان له مريدوه.

- **مجلس أيوب بن أبي غنيمة السختياني**: كان ثقة في الحديث ورعًا زاهدًا متدينًا فقيهًا، شرح أحاديث الرسول – صلى الله عليه وسلم بأسلوب جلب إليه كثيرًا من الناس.

- **مجلس حماد بن سلمة (165ه):** اشتهر بالفصاحة ورواية الحديث من خلال الاعتناء بألفاظه وسنده وتفسير معانيه وأحكامه وكان يعدّ من أوائل النحاة.

فالمسجد الجامع إذًا و مجالس العلماء والفقهاء واللغويين جعلت البصرة حاضرة من حواضر العلم والمعرفة، وخاصة النحو واللغة.

مصادر الدراسة عند البصريين:

المعروف عن البصريين أنهم في مجال التأسيس لقواعدهم النحوية اتخذوا نمطًا صارمًا في مرجعياتهم اللغوية إذ كانوا لا يقبلون من اللغات إلا ما يمتاز بالكثرة والغلبة في الاستعمال ولا يضعون القاعدة النحوية إلا بعد استقراء شديد الدقة، عميق الملاحظة، وما لم يتحقق فيه الغلبة والكثرة ردوه إلى الشذوذ أو وصفوه بأنه لغة من اللغات.

ومن خلال هذه الإطلالة يمكن أن نستعرض جملة من المصادر التي كان نحاة البصرة يعتمدونها في دراساتهم اللغوية وهي:

أولاً: القرآن الكريم:

فهو بلا منازع المصدر الأصدق والمرجع الأصح الذي يطمئن إليه النحاة في استنباط قواعدهم وتحقيق أصولهم لأنه حفظ في الصدور قبل السطور، وضمن تواتر رواياته على مرّ الزمان، كما أنه جلب اهتمام الدارسين وكتابتهم منذ فجر نزوله، وما لم يكن متواترًا من القراءات تحفظوا من الاستدلال به.

ويفرد الدكتور التواتي بن التواتي في كتابه: (القراءات القرآنية وأثرها في النحو العربي والفقه الإسلامي)، يفرد مبحثا خاصا بموقف البصريين من القرآن الكريم وقراءاته، ويؤكد أن البصريين اتخذوه مصدرا في دراساتهم النحوية لأنه يصلح لإقامة القاعدة النحوية مع موافقة القراءة القرآنية وجهًا من وجوه النحو، ونستنتج بعد ذلك أن القرآن الكريم لكي يُستشهد به يجب أن يوافق بيتا شعريا أو كلام من كلام العرب.

ثانيًا: الشعر الجاهلي والإسلامي:

آثر البصريون الشعر الجاهلي والشعر الإسلامي كثيرًا، ورأوا أنهما من أصدق النصوص بعد لنقاوتهما من الدخيل الأجنبي، وخلوهما مما يعكر صفو السليقة اللغوية التي

يتمتع بها أولئك الشعراء في هذين العصرين، كما أن البصريين مدوا حبل الاستشهاد وأوصلوه إلى شعراء بني أمية جرير والفرزدق والأخطل، وقبلوا الاستشهاد بشعر رؤبة بن العجاج وأبي النجم وبشار بن برد، وتوقفوا عند الشاعر إبراهيم بن هرمة الذي عمر طويلاً إذ تجاوز النصف الثاني من القرن الثاني الهجري فهو عندهم آخر من يستشهد به من الشعراء.

ثالثًا: العرب الفصحاء:

رفض البصريون الأخذ عن أهل الحضر لأن ألسنتهم مظنة التأثر بألسنة الأعاجم فآثروا الطواف في بوادي الجزيرة العربية يأخذون عن القبائل الموغلة في الانعزال عن غيرها والتي بقيت لغتهم سليقة فصيحة لم تشبها شائبة اللحن والاختلاط بالأجناس فقد أخذ الخليل عن القبائل في بوادي نجد وتهامة والحجاز، وهذا التشدد في الانتقاء اللغوي والتحري عن أصول السلامة اللغوية كان جليًا في كتاب سيبويه، إذ تجافى كل شاهد فيه مظنة الانتحال أو الافتعال.

ومما يؤكد اعتماد البصريين في شواهدهم على أهل البادية العرب الخلص أن البصريين كانوا يفتخرون على الكوفيين لأنهم يأخذون عن أهل الحضر الذين لوثت لغتهم عادية اللحن عند الأعاجم من فرس وروم، فقال البصريون: "نحن نأخذ اللغة عن حرشة الضباب وأكلة اليرابيع، وأنتم تأخذونها عن أكلة الشواريز وباعة الكواميخ. " .

اليرابيع جمع يربوع أو جربوع ، **الشواريز** بمعنى الألبان الثخينة ، **الكواميخ** بمعنى المخللات .

رابعًا: أمثال العرب وحكمهم:

لا تخلو الأمم من الأمثال والحكم، والمثل هو قول قصير مجهول القائل غالبًا يجري على الألسن بغية إصلاح الناس وتوجيههم إلى دروب السلامة وأسباب النجاح، ويعد العرب من الأمم التي كثرت أمثالها وحكمها فكان موقف البصريين أن قبلوا هذه الأمثال والحكم مصادر لمدونتهم من الشواهد لأن هذه الأمثال والحكم وإن كانت مجهولة القائل غالبًا غير أنها امتازت بالتكرار والتواتر، ومن بين ذلك: الصيف ضيعتِ اللبن، رجع بخفي حنين .

وأما الحديث النبوي الشريف، فإن أوائل النحاة البصريين رفضوا الاستشهاد به واتخاذه مصدرًا للقواعد النحوية ومن حججهم على ذلك أن الحديث النبوي يجوز أن يروى بالمعنى، وأن المشتغلين به هم من الأعاجم، ولابد من الإشارة إلى أنه ليس كل البصريين رفضوا الاستشهاد بالحديث النبوي، فمنهم من أكثر الاستشهاد به وفي مقدمتهم محمد بن مالك الأندلسي.

وفي هذه المسألة لابد من التنويه إلى أن موقف البصريين من الاستشهاد بالحديث النبوي، قد قوبل بالرفض من قبل كثير من الدارسين خاصة المحدثين منهم، و الذين استهجنوا عدم قبول البصريين الحديث النبوي مصدرًا من مصادر التقعيد النحوي، وردوا عليهم بأن علماء الحديث قد وضعوا منهجًا دقيقًا في قبول الرواية واتخذوا علمًا جديدًا يُعد من أدق المناهج إلى العصر الحديث وهو ما يعرف بعلم: (الجرح والتعديل).

منهج الدراسة عند البصريين:

إن البصريين كانوا أكثر حرية و أقوى عقلا و طريقتهم أكثر تنظيما و خطتهم هي الاعتماد على الشواهد الموثوق بها، الكثيرة الدوران على ألسنة العرب التي تصلح للثقة فيها أن تكون

قاعدة تتبع .

ولن يكون ذلك إلا إذا وردت في كتاب الله الكريم أو نطق بها العرب الخلص الذين اعترف لهم بالفصاحة، لبعدهم عن مطنة الخطاء ،كالاتصال بالأعاجم سواء بالرحلة أو الجوار ، أو لرسوخ قدمهم في اللغة و تبصرهم بها ، و اطلاعهم عليها ككبار العلماء و الأدباء ، هؤلاء الذين يمكن أن توضع أقوالهم موضع الاعتبار .

لذلك لم يكن بدعا أن ترى السيوطي يقول:" اتفقوا على أن البصريين اصح قياسا ، لأنهم لا يلتفتون إلى كل مسموع و لا يقيسون على الشاذ ."

في الحقيقة نحاة البصرة تأثروا بالبيئة البصرية و نهج المعتزلة و تأثروا بهم في الاعتداد بالعقل و طرح كل ما يتعارض معه ، فأهملوا الشواذ في اللغة ، لهذا سمى نحاة البصرة أهل المنطق ، ومن الأمور التي تراعيها مدرسة البصرة في بحثها:

أولا : المادة العلمية :

اعتمد البصريون في مادة منهجهم العلمي على الأفصح من الألفاظ والأسهل منها على اللسان ولدلك اختاروا من بين القبائل التي اعتمدوا عليها القبائل المقطوع بعراقتها في العربية ، والمصونة فطرتهم من رطانة الحضارة الأجنبية فاختاروا من العرب قيسا وتميما وأسدا فأخذوا أكثر قواعدهم من هؤلاء في اللغة والإعراب والتصريف ثم أخذوا من هديل وبعض كنانة وبعض الطائيين ، ولم يأخذوا عن حضري ولا من سكان البراري ممن كان يجاور الأمم الأخرى، ومن هنا رفضوا الأخذ من لخم وجذام لمجاورتهم أهل مصر ، ولم يأخذوا من قضاعة ولا من غسان ولا من إياد لمجاورتهم أهل الشام ، ولا من النمر لمجاورتهم اليونان ، ولا من بكر لمجاورتهم النبط والفرس .

ثانيا : اختيار سلامة لغة المأخوذ عنهم :

كان البصريون يختبرون سلامة لغة من يشكون في أمره ، ممن سبق من القبائل الفصيحة ويروي ابن جني في دلك فيقول : ومن دلك ما يحكي أن أبا عمرو بن العلاء استضعف فصاحة أعرابي يسمى : أبا خيرة لما سأله فقال : كيف تقول : "استأصل الله عرقاتهن ؟ ففتح أبو خيرة التاء من عرقاتهن فقال له أبو عمرو : هيهات أبا خيرة لان جلدك".

وهذا يعني أن اللحن انتشر بين الأعراب ، لأن أبا عمرو كان قد سمع أبا خيرة يروي الشاهد بالكسر ، فلم يتردد في مؤاخذة أبي خيرة ، وهو أحد الأعراب الذين أخذت عنهم اللغة ، باللحن ودلك لتقدمه في السن وطول مخالطته لأهل الحواضر .

ثالثا : التأكد من الثقات في صحة المروي :

كان البصريون يتحرون عن الرواة فلا يأخذون إلا برواية الثقات الذين سمعوا اللغة من الفصحاء عن طريق الحفظة والإثبات، الذين بذلوا الجهد في نقل المرويات عن قائليها منسوبة إليهم فقد أبوا أن يستدلوا بشاهد لم يعرف قائله .

رابعا : كمية المقيس عليه المنقول عند العرب :

اشترط البصريون فيما ينقل عن العرب الكثرة الكاثرة فيقعدون على الأكثر وإلا فعلى الكثير ، وإلا فعلى القليل ، وإلا فعلى الأقل ، وإلا فعلى النادر ،وإلا قاسوا الأشباه على الأشباه ، والنظائر على النظائر إذا لم يتناقص مع الوارد ، فإذا ما خالف الوارد ما سبق من قياس أولوه أو اعتبروه شاذا يحفظ ولا يقاس عليه وقد ينكرونه أو يقولون إنه ضرورة.

وتُعد هده المدرسة واصفة النحو ابتداء، وإن أول نحوي بصري حقيقي هو ابن أبي إسحاق الحضرمي مند(ت 117 هـ)وهو من القراء.

وجميع نحاة البصرة الذين خلفوه ينتمتون إلى القراء من هؤلاء تلميذه عيسى بن عمرو،أبو عمر بن العلاء ،وتلميذا عيسى الخليل بن أحمد ويونس بن حبيب .

وتميز نحاة البصرة بجعل القواعد مطردة عامة مما جعلهم يطرحون الشاذ، ولا يعربون عليه إلا القليل النادر .

وأيضا اشتراطهم في الاستواء صحة المادة التي يشتقون منها قواعدهم،فكانوا يجمعون من البوادي من أعماق نجد وبوادي الحجاز وتهامة ومن القبائل المحتفظة بملكة اللغة وسليقتها الصحيحة مما لم تفسد الحضارة لسانها وكانوا لا يحتجون بالحديث النبوي لاحتمال روايته بالمعنى من الأعاجم ، وتابعهم في هدا نحاة الكوفة .

وتوسعوا من حيث القياس والتعليل إذ طلبوا لكل قاعدة علة ، بحيث يصبح ما يخرج عليها شاذ .

خامسا:السماع :

إنَّ التأسيس لقواعد النحو عند البصريين أمر ذو شأن عظيم لا يمكن أن يصدر عن عقل عالم منفردا مهما كانت درجة رسوخه في اللغة العربية و إحاطته بلهجاتها ومعرفة الأصيل من الدخيل منها، بل لابد من نقل يعضد هذه المعرفة اللغوية حتى تتضح الحجة ويقوى الدليل، فمنهج السماع عند البصريين ليس سماعًا عاديًا يقبل الأثر الواحد أو الأثرين إنما يجب في هذا الأثر أن يطّرد في استعمالات لغوية شتى تتساوق معها الأشباه والنظائر اللغوية، فما اتسم بالقلة والندرة وإن كان قائما رد لعدم كثرته وتواتره، فوصفوه بالنادر والشاذ.

وما كانوا يتشبثون بلغة قبيلة واحدة ولو شاع الاستعمال لديها إنما فرضوا على منهجهم في السماع من قبائل اشتهرت بالفصاحة و انعزلت في البادية فلم تلوث لغاتهم برطانة الأعاجم، فأخذوا عن هذيل وكنانة وعن طائفة من الطائيين لتوغلهم في البادية وتفردهم في أقاليم منيعة عن الأعاجم، فلم يسمعوا من قبائل كانت مظنة التأثر بالأجنبي كقبلتي لخم وجذام لمجاورتهم القبط، وما سمعوا عن قضاعة ولا غسان ولا إياد لمجاورتهم الروم بالشام ولا من بكر لقربهم من النبط والفرس.

سادسا : القياس:

إن كلام العرب لا يمكن أن يستوعبه السماع جملة وتفصيلاً فليس كل الأفعال المستعملة في اللغة العربية نطقها العرب الأوائل ولا كل الفاعلين ولا كل المفعولين، لهذا كان لابد من النظر في منهج ثانٍ بعد السماع يؤسس للقاعدة النحوية معززًا بالحجة مدعوما بالدليل ذلك المنهج هو القياس الذي بواسطته أضيفت مادة لغوية جديدة على ما هو مسموع ومنقول عن العرب وفي ذلك يقول السيوطي: «ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب يقال: ألا ترى أنك لم تسمع أنت ولا غيرك اسم كل فاعل ولا مفعول وإنما سمعت البعض فقست عليه، فإذا سمعت "قام زيد" أجزت ""ظرُف بشر" و"كرُم خالد"».

إذًا فالقياس عمل يقوم به النحاة من تلقاء فكرهم وفهمهم للغة العرب فينشئون قواعد النحو انطلاقًا من عرض ما عنّ لهم من استعمالات لغوية جديدة على ما سمع عن العرب من لغتهم القديمة.

تقول منى إلياس: «إذا أخذنا القياس في أبسط معانيه تبين لنا أنه عملية فكرية يقوم بها الإنسان الذي ينتمي إلى جماعة لغوية، ويجري بمقتضاها على الاستعمال المطرد في هذه الجماعة، وهذه حقيقة من حقائق الإجماع اللغوي التي تبنى عليها الاستعمالات اللغوية.

ولقد ذكرنا من قبل شدة ولوع أوائل النحاة البصريين بالقياس واستدللنا على ذلك بعبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي الذي قيل عنه إنه أول من بعج النحو ومد القياس والعلل، ولما جاء الخليل بن أحمد الفراهيدي اعتمد الدقة في القياس بغية استنباط قواعد النحو و تعليلاته.

ويمكن تلخيص خصائص القياس عند نحاة البصرة بأنهم تعمقوا فيه واتخذوه ملاذا لا مندوحة عنه فقد يقيسون على الكثير الكثير من لغة العرب فيضعون القاعدة، وإلا فعلى القليل، فإن لم يجدوا قاسوا على النادر، ولربما اعتمدوا على الأشباه والنظائر.

وأخيرًا لابد أن تعرف عن قياس البصريين أنه يتحرى الظواهر العامة المعلومة في اللغة، ويأتي بعد ذلك النظر في الظواهر النادرة والشاذة والتي كانت في معظمها نرد إلى لهجات العرب.

المدرسة الكوفية

تقع الكوفة على الضفة اليمنى لنهر الفرات الأوسط بالعراق جنوب بغداد وتبعد عنها بحوالي 156 كلم.

_أصل التسمية:

سيقت كثير من الأقوال في أصل تسميتها ومن ذلك قولهم إنها من الفعل (تكوّف) بمعنى تجمّع وذلك أن المسلمين الفاتحين تعرضوا للسعات البعوض فقيل لهم تكوّفوا أي تجمّعوا حتى يبتعد عنكم البعوض، و من قائل إن كل أرض تخالطها حصباء تسمى كوفة.

جاء في معجم المصباح المنير للفيومي:" الكوفة مدينة مشهورة بالعراق قيل سميت كوفة لاستدارة بنائها، لأنه يقال: تكوّف القوم إذا اجتمعوا واستداروا".

_تأسيسها:

أسسها الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص – رضي الله عنه – بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – و كان ذلك عام 17 للهجرة. يقول مهدي المخزومي في كتابه (مدرسة الكوفة):" و تم تخطيط الكوفة على يد سعد بن أبي وقاص، بعد تخطيط البصرة بسنتين أو ثلاث و كان قد نزل بها المسلمون في السنة السادسة عشرة أو في السنة السابعة عشرة".

_الكوفة و النحو:

لقد رأيت أن تأسيس مدينة الكوفة كان متزامنا تقريبا مع تأسيس مدينة البصرة، إلا أن البصرة سبقت الكوفة إلى النحو بزهاء مئة عام، وأما الكوفة فقد كانت منشغلة بالشعر وروايته، غير آخذة من علم النحو بأي طرف، في حين كانت حركة الدرس النحوي من تنظير ومناظرات نشطة وعلى أشدها، و يجمع مؤرخو النحو العربي على أن الكسائيّ هو أول من نقل النحو إلى الكوفة، ذلك أنه كان من علماء القراءات القرآنية فأيقن ألاّ مندوحة له عن الاغتراف من علم النحو، إيمانا منه بأن النحو سيفتح له أبوابا كثيرة في علم القراءات و علم التفسير. تقول خديجة الحديثي في كتابها المدارس النحوية:"... فانصرف أهل الكوفة عن شؤون الحياة الأخرى، و اهتموا بالشعر...[عن] الدرس اللغوي و النحوي الذي شاركت فيه الكوفة في عهد متأخر عن البصرة التي سبقتها إلى ذلك بمائة عام...[و] كان الكسائي أبرز

من اهتم بالدراسات النحوية و أدخلها إلى الكوفة و نشطها... فقد وجد الكسائي نفسه محتاجا إلى الإلمام بعلوم اللغة ليخدم قراءاته و ليساعده على تفسير القرآن الكريم"

- نشأة المدرسة النحوية الكوفية وتاريخها:

يقول إبراهيم السامرائي: (لقد عرفت الكوفة كما عرفت البصرة، فكلتاهما مِصران قد مَصَّرهما المسلمون واشتهر كل منهما طوال التاريخ الإسلامي، وشغلتا مكانًا واضحًا في القرنين الثاني والثالث، وكان لكل منهما أثر في السياسة، فقد عرفت الكوفة بعلويتها كما عُرفت البصرة بعثمانيتها. وكان أهل المصرين على اتصال فيما بينهم، وأنت لا تعدم أن تجد بصريين قد استوطنوا الكوفة لغرض ما، كما تجد كوفيين آخرين اتخذوا البصرة سكنًا لهم، وكانت الكوفة مركزًا من مراكز العلم كما كانت البصرة، ولسنا على يقين تام في سبق البصريين وانصرافهم إلى العلم على الكوفيين، إلا ما كان من ذلك في العلوم اللغوية، فقد عرف النحو في البصرة، قبل الكوفة) ، وقال أيضًا: (إن النحو الكوفي بدأ بظهور أبي جعفر الرؤاسي، وقد تلمذ له الكسائي والفراء).

وقال شوقي ضيف: (تركت الكوفة للبصرة وضع نَقْط الإعراب في الذكر الحكيم ووضع نقط الإعجام، والأنظار النحوية والصرفية الأولى التي تبلورت عند ابن أبي إسحاق، والتي أقام عليها قانوني القياس والتعليل؛ إذ كانت في شغل عن كل ذلك بالفقه ووضع أصوله ومقاييسه وفتاواه وبالقراءات وروايتها رواية دقيقة، مما جعلها تحظى بمذهب فقهي هو مذهب أبي حنيفة، وبثلاثة من القراء السبعة الذين شاعتْ قراءاتهم في العالم العربي، وهم عاصم وحمزة والكسائي.

وعنيت بجانب ذلك عناية واسعة برواية الأشعار القديمة وصنعة دواوين الشعر، وإن كانتْ لم تعنَ بالتحري والتثبت فيما جمعتْ مِن أشعار، حتى ليقول أبو الطيب اللغوي: (الشعر بالكوفة أكثرُ وأجمع منه بالبصرة، ولكن أكثره مصنوع ومنسوب إلى من لم يَقُلْه، وذلك بَيِّن في دواوينهم)، وعادة تذكر كتب التراجم أوليَّة للنحو الكوفي مُجَسَّدة في أبي جعفر الرؤاسي ومعاذ الهراء.

ويتابع قائلًا: (إنما يبدأ النحو الكوفي بدءًا حقيقيًّا بالكسائي وتلميذه الفراء، فهما اللذان رسَمَا صورة هذا النحو ووضَعَا أسسه وأصوله، وأعدَّا له بحذقهما وفطنتهما لتكون له خواصُّه التي يستقل بها عن النحو البصري، مرتبين لمقدماته ومدققين في قواعده، ومتخذين له الأسباب التي ترفع بنيانه)[19].

_مصادر الدراسة عند مدرسة الكوفة:

لقد علمت فيما سبق أن البصرة كانت أسبق إلى النحو من الكوفة بزمن طويل، وأن نشأة النحو وتأسيس قواعده كان بالبصرة وأن شيخ البصريين الخليل بن أحمد الفراهيدي قد تتلمذ على يديه عالمان من أعلام البصرة والكوفة هما سيبويه منظر النحو البصري بمؤلفه: (الكتاب) والكسائي زعيم الكوفيين صاحب النحو وإمام القراء.

ومعلوم أن هذا العلم انتقل من البصرة إلى الكوفة من خلال رحلات طلاب النحو إلى البصرة وعودتهم إلى مدينتهم الكوفة بهذا العلم، فالكوفة مدينة للبصرة بمعظم مصادر دراستها في مجال النحو.

غير أنه من المفيد أن تعرف أن الكوفيين لم يأخذوا ما تعلموه من البصريين قلبًا وقالبًا إنما تصرفوا فيه بالزيادة والنقص والتحويل والتأويل ينشدون في كل ذلك مقام التميز ويرنون إلى مراتب الإبداع والسبق.

أولاً: النحو البصري:

سمع الكوفيون نحو البصريين وتتلمذوا على أعلامهم أمثال: عيسى بن عمر والخليل بن أحمد ويونس بن حبيب والأخفش، كما حضر الكوفيون مجالس البصريين وندواتهم في علم النحو وأخذوا عنهم كتاب سيبويه تلقينًا وشرحًا، وانطلق الكوفيون من هذا المصدر البصري يبنون لمذهبهم صرحًا جديدًا.

ثانيًا: لهجات عربية معتمدة من قبل البصريين:

تقبل الكوفيون الشواهد اللغوية التي اعتمدها البصريون والتي نقلوها عن القبائل العربية الموغلة في البداوة مثل قيس وهذيل، كما أخذ الكوفيون عن جزء من بني كنانة وبني طيء، وهذه المرونة كما ترى خالصة من شوائب التأثر بالأجنبي لأنها لهجات أهل البوادي والأرياف.

ثالثًا: لهجات عربية تجاهلها البصريون:

وهي لهجات القبائل العربية المتاخمة للكوفة كتميم وأسد ونزار، وقبائل أخرى جاورت بغداد كأعراب الحليمات الذين ظاهروا الكسائي على سيبويه في المسألة الزنبورية، وكان الفضل في هذا الجمع للكسائي الذي خرج إلى بوادي الحجاز ونجد وتهامة يجمع ما لم يتمكن البصريون من جمعه.

وللأمانة العلمية لابد من الإشارة إلى أن الكوفيين لم يكونوا يقبلون كل ما يرفضه البصريون، بل إن الكوفيين اطرحوا لهجات اتسمت بالميوعة اللغوية والبعد عن القياس العربي، من ذلك ما يعرف بعنعنة قضاعة وقيس وتميم، وفحفحة هذيل، وعجعجة قضاعة، وكشكشة ربيعة.

رابعًا: الشعر العربي:

وافق الكوفيون البصريين في قبول الشعر الجاهلي والمخضرم والإسلامي أضافوا إليه ما كان يرويه كل من خلف الأحمر وحماد الراوية، وتمادى الكوفيون في قبول الشواهد الشعرية، فقد قبلوا البيت المجهول القائل وبنوا بعض قواعدهم على البيت الواحد، وقد ثبت أن خلفا الأحمر كان يصنع الأبيات ويقدمها للكوفيين فيقبلونها ويضعونها شواهد على قواعد لهم.

خامسًا: القراءات القرآنية:

قبل الكوفيون كل القراءات ما كان منها متواترًا وما كان شاذًا لأن مذهبهم مبني على التوسع في قبول الرواية، والترخص في الاعتماد على الشواهد ولم يكونوا مثل البصريين الذين خطأوا بعض القراءات ورفضوها وردوها وضعفوها.

وفي ختام الحديث عن مصادر الدراسة لابد من الإشارة إلى قضية هامة وهي أنه لم تؤخذ اللغة عن أهل الحضر، ولا عن القبائل المتاخمة للعجم، فلم تقبل لغة لخم وجذام بسبب قربهما من أقباط مصر، ولا من قضاعة وغسان وإياد لمساكنتهم أهل الشام وقد كانت لغتهم العبرانية ولم تقبل لغة اليمن لمجاورتهم الحبشة، ولا بكر لمجاورتهم الفرس، ولا ثقيف والطائف لأنهم كانوا على اتصال بتجار اليمن.

منهج مدرسة الكوفة في الدرس النحوي:

1 – القياس عند الكوفيين:

إنّ القياس عند الكوفيين منهج أصيل لا يكتمل النحو إلا به، و لا تتسع اللغة إلا من خلاله... و لقد حصر زعيمهم الكسائي النحو في القياس بقوله:

إنما النحو قياس يُتّبعْ ... و به في كلّ علم يُنتفعْ

هذا و لقد ذكرنا فيما سبق تشدّد البصريين في القياس إذ كانوا لا يقيسون إلا على ما سمعوه عن العرب الخلّص، غير أنّ الكوفيين توسعوا و ترخّصوا فقاسوا على النادر والشاذ، بل وقاسوا على لغة من فسدت ألسنتهم من أهل البدو و الحضر... و الأكثر من ذلك أنهم قاسوا على غير المسموع.. يقول شوقي ضيف:" و يبقى أن تعرف أن الكوفيين لم يقفوا بقياسهم عند ما سمعوه ممن فسدتهم سلائقهم من أعراب المدن، أو ما شذّ على ألسنة بعض أعراب البدو، فقد استخدموا القياس أحيانا بدون استناد إلى أي سماع"

و سنختصر في ما يلي نماذج من القياس عند الكوفيين:

- التوسع في القياس على صيغة (ما أفعله) في التعجب:

و المعلوم أنّ هذه الصيغة عند البصريين مرتبطة بشروط، و منها قابلية الأفعال للتفاضل في معانيها و ذاك ما لا يتحقق في الأفعال التي تدل على لون، أي لون... فلا يقال: ما أزرقه و لا ما أبيضه و لا ما أسوده ....غير أن الكوفيين أجازوا ذلك في السواد و البياض و حجتهم أن هذين اللونين أصلان لكل الألوان الأخرى. و جاء في كتاب: (الإنصاف في مسائل الخلاف) ما نصه:" و أما القياس فقالوا: إنما جوّزنا ذلك من السواد و البياض دون سائر الألوان لأنهما أصلا الألوان، و منها يتركب سائرها من الحمرة و الصفرة و الخضرة و الصهبة و الشهبة و الكهبة إلى غير ذلك"

- تجويز الكوفيين اشتقاق صيغتي: (مفعَل) و (فُعال) من الأعداد من خمسة إلى تسعة:

و ما سمع عن العرب هو صوغ وزني (مفعَل) و(فُعال) من الأعداد من واحد إلى أربعة، و وزن (فُعال) من العدد عشرة فقالوا: (عُشار). ولكنّ الكوفيين توسعوا في القياس وأجازوا: مخمس، و خُماس ...يقول رضيّ الدين الاستراباذي: "و قد جاء(فُعال) و (مفعَل) في العدد من واحد إلى أربعة اتفاقا، و جاء (فُعال) من عشرة... و المبرّد و الكوفيون يقيسون عليها إلى تسعة نحو: خُماس و مخمس و سُداس و مسدس و السماع مفقود ".

2 – النقل أو السماع عند الكوفيين:

لقد اتخذ الكوفيون بدورهم السماع منهجا في دراساتهم النحوية، فلقد ارتحل نحاة الكوفة إلى البوادي والقفار كما ارتحل نحاة البصرة، إذ آثر الكسائيّ إمام الكوفيين التطواف في كل من نجد و تهامة والحجاز... غير أنّ الكوفيين كانوا لا يتحرجون أن يأخذوا من قبائل متاخمة للفرس كتغلب و بكر... وكانوا يقبلون الشاذ والقليل والنادر، الكلام المجهول القائل وذاك ما لم يقبله البصريون الذين كانوا يفتخرون بسماعهم على سماع الكوفيين و يقولون:" نحن نأخذ اللغة عن حرشة الضباب و أكلة اليرابيع و أنتم تأخذونها عن أكلة الشواريز و باعة الكواميخ"

ومن مظاهر النقل عن القليل و الشاذ عند الكوفيين حسبانهم (نعم) و(بئس) اسمين . جاء في كتاب: (الإنصاف في مسائل الخلاف) ما نصه:" ذهب الكوفيون إلى أن (نعم) و(بئس) اسمان مبتدآن..فاحتجوا بأن قالوا: الدليل على أنهما اسمان دخول حرف الخفض عليهما فإنه قد جاء عن العرب أنها تقول: (ما زيد بنعم الرجل)، وحكيّ(نعم السير على بئس العير)"

3 – الرواية عند الكوفيين:

معلوم أن الكوفيين كانوا أكثر اهتماما بالشعر و روايته، كما كانوا ضنينين بالشعر عن غيرهم ظنا منهم أن ذلك سيكسب مذهبهم تميزا عن البصريين، غير أنّ الدارسين أثبتوا أن الكوفيين باعتدادهم بما عندهم من الشعر وروايته جرّ عليهم ذلك ضخامة في المادة اللغوية

أدت بالضرورة إلى خلط واضطراب في درسهم اللغوي، خاصة وأنّ هذه الضخامة اللغوية أملاها عليهم أعلام متهمون في الأمانة والموضوعية إلى حدّ النحل و الزيادة، من أمثال: (خلف الأحمر) و (حمّاد الراوية)... يقول مهدي عبد العال في كتابه: (النحو و النحاة): " و أضفنا إلى ذلك اهتمام الكوفة بالشعر في المقام الأول... فظنوا أن ذلك من الممكن أن يعوّضهم نقص الرواية و السماع من أفواه العرب الخلّص، فقد سلّط عليهم من حماد الراوية و خلف الأحمر ما أضاع الثقة الاطمئنان"

والشيء الجديد الذي أتت به المدرسة الكوفية هو :ابتكار مجموعة من المصطلحات.

المصطلحات بين المدرسة الكوفية والبصرية :

تقسم إلى ثلاثة طوائف: _ طائفة كوفية لم يعرفها البصريون.

_ طائفة بصرية لم يعرفها الكوفيون.

_ طائفة كوفية بصرية، إلا أن لها عند الكوفيين اسما وعند البصريين اسما.

الطائفة الأولى :أحرف الصرف :ويطلقوها الكوفيين على: الواو ،الفاء ، أو.

الطائفة الثانية:لام الابتداء، أسم الفعل، المفعول المطلق، له، فيه، معه، والكوفيون لا يعرفون إلا المفعول به، أما بقية المفاعيل فكانوا يسمونها أشباه مفاعيل.

الطائفة الثالثة:

_ الخلاف_هو عامل معنوي كانوا يجعلونه علة النصب في الظرف إذا وقع خبرًا، بينما كان البصريون يجعلون الظرف متعلقًا بمحذوف خبر للمبتدأ السابق له.

_ التقريب، وقد اختصوا به اسم الإشارة (هذا) في مثل: (هذا زيد قائمًا)، وجعلوه من أخوات كان؛ أي: إنه يليه اسم وخبر منصوب، بينما يعرب البصريون "قائمًا" حال، ويجعلون ما قبلها مبتدأ وخبرًا.

_ ضمير الشأن بصري واسم المجهول كوفي، ضمير الفصل"البصريين" والكوفيين "العماد".

_ وسموا الظرف (الصفة والمحل) عند الكوفيين، ويطلقه البصريون على نحو: أمام، خلف ،يمين وغيرها من ظروف المكان.

_ البدل بصري، والترجمة كوفي.

_ سموا حروف الجر"بصريين" باسم حروف الخفض، وسموا المصروف والممنوع من الصرف باسم (ما يجري وما لا يجري مصطلح كوفي).

وهذه النماذج التي ذكرتها هي بعض الاختلافات عند هاتين المدرستين.